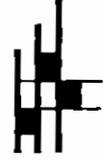


## الباب الخامس

### تركيا وإيران



#### تركيا والقضية الإسلامية :

تركيا كانت مركز الدولة العثمانية، الخلافة التي استمرت أطول مما سبقها من عهود بني أمية وبني العباس. ومع أنها حققت إنجازات تاريخية مهمة وحمّت بيضة الإسلام دهرأ طويلاً، فإنها شاخت وأدركها الوهن ومينت هزيمة كبيرة هي ومن حالفها في الحرب الأطلسية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م).

بعد تلك الهزيمة فقدت الدولة العثمانية عالمها، بل صارت تركيا نفسها عرضة للاحتلال الأجنبي.

قاد مصطفى كمال القوات التركية إلى نصر أنقذ تركيا من الاحتلال. ولكنه هو والطبقة السياسية المناصرة له ربطوا بين التدهور العثماني والإسلام، ما جعلهم يقدمون على إلغاء الخلافة ويعملون على تطبيق علمانية صارمة تطرد الماضي وتتطلع لمستقبل معادٍ للدين الإسلامي وللعروبة وقائم على بعث قومي طوراني، بل تفصل تركيا من تراثها بكتابة لغتها بالحرف اللاتيني بدل الحرف العربي. الكمالية التركية استقلت من أوروبا سياسياً وامثلت لها ثقافياً في عملية هندسة ثقافية تدير وجه الوطن التركي عن الشرق وتعزز انتماءه للغرب.. هذا التوجه فُرض على الشعب التركي بالقوة، فرضته قيادة نالت شعبية وطنية لدورها في حماية تركيا من الاحتلال الأوربي.

ولكن للإسلام جذوراً راسخة في تركيا، فانبرت تيارات فكرية وصوفية تتعامل مع نظام الحكم العلماني بأسلوب التقية، وتمارس انتماءها للإسلام بل تغرس للإسلام صروحاً فكرية قوية كما فعل بديع الزمان النورسي وعدد من الطرق

الصوفية التي تحسن الاحتماء من أحكام السياسة بالوسائل الروحية والتربوية. وانطلقت كذلك حركات تخدم الإسلام عبر الخدمات الاجتماعية كما فعل فتح الرحمن كولن<sup>(١)</sup> وحركة الخدمة التي أسسها. النظام العلماني المعادي للدين في تركيا صار أمانة في عنق القوات المسلحة التي واصلت رعايتها له حتى بعد وفاة مصطفى كمال مؤسس النظام العلماني في تركيا.

وفي مرحلة لاحقة انطلقت حركة إسلامية ذات طموح سياسي بقيادة نجم الدين أربكان<sup>(٢)</sup>. حركة أربكان هذه تجنبت الوسائل الصدمية مع النظام العلماني، ولكنها أحييت اتجاهها سياسياً مدنياً إسلامياً.

الشعب التركي شعب قوي الإيمان بالإسلام مهما طبقت عليه من نظم وثقافة علمانية. لذلك استجابت جماهير كبيرة لدعوة أربكان حتى نال أغلبية في الانتخابات البرلمانية. ولكن كلما حصل حزب أربكان على أغلبية انتخابية تعرض للحل على أيدي القيادة العسكرية راعية النظام العلماني.

يحمد للسيد نجم الدين أربكان أنه لم يلجأ للعنف بل واصل عمله بالقوة الناعمة.. يحقق نصراً انتخابياً، ويحل حربه، ثم يعود للساحة السياسية باسم جديد. حدث هذا أربع مرات ما أثبت أنه إنما يغرف من قوة اجتماعية ثابتة.

كان الحزب الأول الذي أسسه أربكان باسم الإنقاذ الوطني، وبعد حله عاد باسم حزب الرفاه، وبعد حله عاد باسم حزب الفضيلة.

تجنباً لهذه المساجلة قرر بعض أعضاء حزب الفضيلة اتباع نهج جديد فيه

---

(١) محمد فتح الله كولن (ولد أبريل ١٩٤١م): مفكر إسلامي وداعية تركي، يوصف بأب الإسلام الاجتماعي.

(٢) نجم الدين أربكان (٢٩ أكتوبر ١٩٢٦ - ٢٧ فبراير ٢٠١١): مهندس وسياسي تركي تولى رئاسة حزب الرفاه ورئاسة وزراء تركيا من الفترة بين ١٩٩٦ و١٩٩٧ عرف بتوجهاته الإسلامية.

تعايش مع النظام العلماني. هذا النهج الجديد لم يرض عنه نجم الدين أربكان، ولكنه وجد تأييداً شعبياً عريضاً.. هذا النهج قاده رجب طيب أردوغان<sup>(١)</sup>. وكون هو وزملاؤه حزب العدالة والتنمية.

هذا الحزب أبطن الصفة الإسلامية وأعلن قبول العلمانية<sup>(٢)</sup>. هذا الحزب حقق إنجازاً ملحوظاً في إدارة أنقرة، وفي عام ٢٠٠٢م فاز بالأغلبية البرلمانية في تركيا. ومنذئذ سيطر هذا الحزب على حكم تركيا حتى آخر انتخابات عامة في أكتوبر ٢٠١٥م.

إن نجاح حزب العدالة والتنمية اعتمد على توفيق بين نهجين إسلامي وعلماني، وعلى روافع الإنجاز الاقتصادي والانضباط الإداري. نجاح حزب العدالة والتنمية في الساحة التركية دليل على إخفاق تشدد البرنامج الكمالي. إخفاق الكمالية في تركيا يعود لسببين هما:

الأول: التشدد العلماني بصفة معادية للدين في وسط شعب تركي قوي الانتماء للإسلام، بل يدرك أن أمجد فترات تاريخه كانت في ظل الإسلام لذلك قامت ضد الكمالية المعادية للدين ردة فعل مضادة.

السبب الثاني: الحضارة الأوربية التي تعلن العلمانية الجاذبة للفكر الكمالي ولفكر العلمانيين في بلاد الإسلام ليست محايدة دينياً بل تبطن قيماً وثقافة ذات جذور ثقافية أوربية ومسيحية.

إن للحضارة الغربية إنجازات عظيمة في الفكر، والسياسة، والاقتصاد،

(١) رجب طيب أردوغان (٢٦ فبراير ١٩٥٤ -): رئيس تركيا الثاني عشر والحالي منذ 28 أغسطس 2014 م، ورئيس وزراء تركيا منذ (١٤ مارس ٢٠٠٣م) حتى أغسطس ٢٠١٤م ورئيس حزب العدالة والتنمية.

(٢) العلمانية ترجمة على غير قياس لكلمة secularism، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية saecularis وتعني دنيوي أو زماني، أي راجع للعالم المشاهد والآن بدون العودة للدين، فهي على اشتقاق من عالم أو دهر وليس من علم.

والتكنولوجيا. ومع ذلك فإنها تخطئ في التعامل مع الحضارات الأخرى لأنها:

• تنكر دينها للحضارات الأخرى. وثق مارتن برنال<sup>(١)</sup> في كتابه «أثينا السوداء» لحجم ما ساهمت به الحضارتان المصرية القديمة والفينيقية في تكوين الحضارة اليونانية الرومانية. ووثق الأستاذ منتجمري واط<sup>(٢)</sup> في كتابه «آثار الحضارة الإسلامية على أوروبا القرون الوسطى» ما استمدته أوروبا من الحضارة الإسلامية فهي التي أيقظت أوروبا من ظلام قرونها الوسطى.

• تدعي الحضارة الغربية الحياد في أمر الدين، بينما تمارس واقعاً فيه نفوذ ديني واضح المعالم. تتسمى بعض أحزاب أوروبا السياسية بالمسيحية، وفي بريطانيا الملكة ترأس الدولة والكنيسة معاً. وفي أمريكا أجرى استطلاع بيو استطلاعاً كانت نتيجته أن ٤٩٪ من الشعب يؤيدون دوراً في الحياة العامة للكنيسة. وقال ودرو ويلسون<sup>(٣)</sup>: إن لأمريكا طاقة روحية تؤهلها للمساهمة في تحرير الإنسانية.

• ولدى الحضارة الغربية رغبات واضحات في اعتبار قيمها مقياساً للتحضّر الإنساني، ما يجعلها تحرص على تشكيل الحضارات الأخرى على شاكلتها.

الحضارات الأخرى سوف تعترف للحضارة الغربية بإنجازاتها وسوف تقتبس منها بالصورة التي تلائم قيمها الحضارية.

التجربة التركية تجربة للتعايش بين الإسلام والعلمانية، وقد نجحت في إقامة نظام ديمقراطي مستقر، ونظام اقتصادي مشر، واستطاعت أن توطن التكنولوجيا

(1) Martin Bernal, *Black Athena: The Afroasiatic Roots of Classical Civilization*, Published November 1st 1987 by Rutgers University Press

(2) وليام موننتجمري واط (١٤ مارس ١٩٠٩ - ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٦م) مؤرخ اسكتلندي، كان أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة ادنبره، يعتبر ذا نفوذ كبير في مجال الدراسات الإسلامية في الغرب

(3) ودرو ويلسون (١٨٥٦ - ١٩٢٤م): الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية الفترة من (٤ مارس ١٩١٣ إلى ٤ مارس ١٩٢١م).

الحديثة، وأن تجعل ولاية الأمر السياسي انتخابية مدنية لتحصن القوات المسلحة نفسها في دورها المهني. هذا النجاح سوف يعصم تركيا من تحديات «الدولة الإسلامية»، كذلك تتوافر لها منها حماية ثقافية وإثنية.

### إيران والصحة الإسلامية:

في إيران اتخذ آل بهلوي نهجاً مماثلاً للنهج الكمالي في تركيا، ولكن وجود المؤسسة الشيعية القوية في إيران فرض تعايشاً بين نظام الحكم العلماني والمؤسسة الشيعية الدينية.

اتجاه الشاه العلماني صحبه انتماء للغرب، وفي أثناء الحرب الباردة نمت ضد الشاه معارضة يسارية ومعارضة دينية.

استطاع الشاه بنظام أمني قوي ودعم غربي أن يستأصل قنوات المعارضة اليسارية، والبرالية، ولكن المعارضة الدينية بقيت وعندما نضجت الظروف الثورية في البلاد قادت الثورة.

الإمام روح الله الخميني قائد الثورة يحمل تصوراً ثيوقراطياً للحكم سماه ولاية الفقيه. ولاية الفقيه مشابهة تماماً لمفهوم الحاكمية لدى المودودي وسيد قطب.

الفكر الشيعي يؤمن بالأئمة الاثني عشر، وبأن هؤلاء معصومون، وهم أئمة تعيين إلهي، وعلى الجميع طاعتهم، والإمامة المطاعة هذه كالنبوة من ينكرها كافر. وعلى مراجع التقليد توجيه المسلمين إلى أن يظهر قائم آل محمد يوماً ما. والاعتقاد أنه سوف يظهر عندما تكون الأوضاع قد بلغت غايتها من سوء.

الخميني أجرى تعديلات خفية على هذه المعتقدات أهمها:

- عدم تكفير المسلمين الذين لا يؤمنون بالإمامة.
- عدم إرجاء الإصلاح إلى أن يظهر الإمام المنتظر.

- ولاية الفقيه تحل محل الإمام لغائب.
- ولاية الفقيه ليست تعيين إلهي بل بشرى إذ يختاره العلماء.
- إدارة الحكم الفعلية تتولاها قيادة سياسية منتخبة، ومجلس تشريعي منتخب.
- المؤسسات المنتخبة هذه تخضع لإرشاد ولاية الفقيه وكل الانتخابات المبرمجة انتقائية.

إن أهم منجزات الإمام الخميني للفكر الشيعي هي: نقل الانتظار السلبي للمهدي إلى ولاية فاعلة تقوم بوظيفة الإمام، بل يسمى إمام على خلاف المعتاد، إذ عبارة إمام محصورة في اثني عشر معصومين. الولي الفقيه يأخذ الزمن بنفسه ويقود مصير الأمة.

ولاية الفقيه كما سجلها الإمام الخميني تطابق فكرة الحاكمية لدى المودودي وسيد قطب.

ولكن في آيات الله من اعترض على هذا الفهم للولاية. قال آية الله منتظري<sup>(١)</sup> الذي كان مهيماً لخلافة الخميني: ينبغي حصر ولاية الفقيه في المسائل الشعائرية. الآن في إيران مدرستان: مدرسة محافظة تقول بالولاية الشاملة، ومدرسة إصلاحية تعدل ذلك.

ولكن بعد أكثر من ثلاثة عقود من ولاية الثورة في إيران استطاعوا أن يحققوا دولة مستقرة قياداتها بصورة محدودة منتخبة، وقواتها المسلحة خاضعة للقرار المدني، وأثناء الحصار الدولي استطاعت الدولة أن تسكن التكنولوجيا وأن تحافظ

(١) حسين علي منتظري - آية الله (١٩٢٢ - ٢٠٠٩م): مرجع دين إيراني، فيلسوف، كان قاب قوسين أو أدنى من خلافة آية الله الخميني، لكن انتقاداته لولاية الفقيه التي يستمد منها النظام الحاكم في إيران شرعيته، وموقفه الذي وصفه المحافظون باللين فيما يتعلق بمسألة حقوق الإنسان، كانت مبرراً لعزله عام ١٩٨٨م.

على نهج سياسي تعددي بل فيه تيار إصلاحي يقوده الآن السيد حسن روحاني<sup>(١)</sup> ويحظى بدعم شعبي واحترام إقليمي ودولي.

هذا معناه أن التجربة الإيرانية سوف تقدم توفيقاً بين ولاية الفقيه وولاية الأمة، وتصير قدوة للفكر السياسي الشيعي الذي يمكن أن يتخلى من عقائد مستحيلة كما صار يقول كثير من قادة الشيعة في العراق، وفي لبنان، وفي إيران.

ما يجمع الشيعة الآن نتيجة للمواجهات مع أمريكا ومع أهل السنة هو شعور بمصير مشترك يوحدهم على خلاف إثنيتهم ولغاتهم وثقافتهم. هذا الأمر هو الذي أطلق فكرة محور شيعي إقليمي عابر للحدود الوطنية بقيادة إيران. ولكن في لبنان نخب شيعية تخالف حزب الله. والشيعة في الخليج منقسمون ما بين فكرة الاندماج أو الثورة. وفي العراق انقسام بين الشيعة حول كيفية إدارة بلد متعدد الهويات؟ وكيفية التعامل مع صراع المحاور الإقليمية.

حول هذه القضايا يوجد تيار يقوده المالكي، في إطار ائتلاف دولة القانون؛ وآخر مضاد له مكون من المجلس الأعلى الإسلامي العراقي والتيار الصدري تدعمهم مرجعية النجف. هذا التيار أقرب للتفاهم مع الهويات المتعددة لا سيما أهل السنة.

وفي إيران انقسام بين الإصلاحيين والمحافظين حول إدارة الدولة وكيفية إدارة المحور الإقليمي.

التجربة الإيرانية لن تتأثر بداعش والدولة الإسلامية لسببين: التجربة بناءة، ولا تتأثر بتحد سني عربي بسبب المانع الطائفي والثقافي.

### العناصر التي تجذبها داعش و«الدولة الإسلامية» إليها:

لن تجذب «الدولة الإسلامية» عناصر من تركيا ولا إيران للأسباب المذكورة هنا. ولكنها شددت إليها عناصر من ثلاث جهات ما يمكنها أن تستقطب جنوداً من

(١) حسن روحاني (ولد ١٩٤٨م): المرشح الفاتح في انتخابات الرئاسة الإيرانية لسنة ٢٠١٣ ليكون بذلك الرئيس السابع للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

حوالي مائة دولة.

### الجهة الأكثر ميلاً لخطاب «الدولة الإسلامية»:

المنطقة العربية ذات الأغلبية السنية ما بين الخليج إلى المحيط منطقة مميزة: في هذه المنطقة منابع حضارات الإنسان الكبرى: السومرية، والآشورية، والبابلية، والفرعونية، والفينيقية، والعربية، والكوشية. وهي كذلك مهبط الأديان الإبراهيمية الثلاثة. ومع ذلك فإنها الآن بالقياس لما يحيط بها من دول: تركيا، وإيران، وإسرائيل بمقياس الجدوى تمثل ثقباً أسود في خريطة الجدوى الدولية. كما إنها تعاني من عيوب سبعة عالقة بها، وهي:

الأول: باستثناء محدود، دول هذه المنطقة إما دول فاشلة أو دول غائبة عن العصر.

الثاني: أكثر دول العالم خضوعاً لحكم الفرد المطلق.

الثالث: أكثر دول العالم تغريباً للثروة.

الرابع: أكثر دول العالم معاناة من فجوة اجتماعية بين قلة ثرية وكثرة عاطلة وفقيرة.

الخامس: أكثر دول العالم اعتماداً على غيرها في أمر استيراد الغذاء واستيراد التكنولوجيا.

السادس: أكثر دول العالم اشتباكاً في حروب أهلية، وعدد نازحين وعدد لاجئين.

السابع: أقل دول العالم ممارسة لاستقلال القرار الوطني.

هذه العوامل تجعل شعوب هذه المنطقة أكثر استعداداً لقبول خطاب راديكالي للإطاحة بهذا الواقع، لا سيما إذا كان هذا الخطاب يستجيب لتطلعات بعض التيارات المتطلعة للخلافة ولتطبيق الشريعة من منطلق حماسة سنية تتصدى

للتمدد الشيعي. صحيح هي تطلعات خالية من التدبر الذي يستوجه القرآن، ولكنها بعنفها تراود ما نسب للنبي ﷺ من حسم. روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمُحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ». إنها مفاهيم يقبلها كثيرون مع أنها مخالفة للقرآن: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>. ومخالفة للواقع، فالإسلام لم ينتشر بالسيف كما أوضح الأستاذ توماس آرنولد<sup>(٢)</sup> في كتابه «الدعوة للإسلام». ومخالفة للواقع أيضاً فالساعة لم تقم وقد مضى على الحديث ألف وخمسمائة عام.

إذن كثير من شباب المنطقة المذكورة، نتيجة لعوامل كثيرة، لبوا دعوة داعش ثم «الدولة الإسلامية».

الجهة الثانية: جاء في صحيفة التايمز (٣١/١٠/٢٠١٤م) أن واحد من كل سبعة من الشباب البريطاني يتعاطون مع داعش. النسبة في فرنسا واحد من كل أربعة. الذين يلبون دعوة داعش ثم «الدولة» نوعان:

النوع الأول: من الجيل الثاني والثالث من مهاجرين استقروا في الدول الغربية. هؤلاء في البداية وجد آباؤهم أن حياتهم في دار المهجر أفضل منها في أوطانهم الأصلية، ولكن الأجيال اللاحقة تقارن بين حالها وحال المواطنين الأصليين فيجدونها تفتقر للندية فيشعرون بأزمة انتماء ما يشد بعضهم لنداء مثل نداء «الدولة الإسلامية». الحقيقة أن المجتمعات الغربية لا تهضم الثقافات الوافدة بسهولة، فالحركة الصهيونية هي ردة فعل يهودية في أوروبا بسبب اللاسامية.

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

(٢) توماس وولكر آرنولد (Thomas Walker Arnold) (١٨٦٤ - ١٩٣٠)، السير، مستشرق بريطاني شهير

Thomas Walker Arnold, The preaching of Islam : a history of the propagation of the Muslim faith, London Constable & Company Ltd, 1913.

النوع الثاني: هنالك نزعات في المجتمعات الغربية تأخذ على النظام الرأسمالي أنه ظالم بل المال يشوه عدالة الديمقراطية. هؤلاء كانوا يجدون في الماركسية ملجأ وصاروا يميلون لأية دعوات ناقدة للرأسمالية. من هؤلاء من شدتهم حركات الريع العربي فنادوا باحتلال (السيتي) في لندن: المركز المالي، وياحتلال وول ستريت في واشنطن: مركزها المالي. ومن الشباب الغربي من هم ضد الحداثة نفسها كما ظهر في محاكمة شارلس مانسون<sup>(١)</sup> زعيم الهيبيز الذين اغتالوا الممثلة شارون تيت<sup>(٢)</sup> بصفتها رمزاً للمجتمع الأمريكي. هؤلاء تجذبهم الحركات المعادية للحداثة.

المجتمعات الغربية أفرغ بعضها الترف من الإشباع الروحي والعاطفي فصاروا يشعرون أن حياتهم خالية من معنى. وهو نفس الشعور الذي ألم ببعض شباب المسلمين من الأسر ميسورة الحال، فجذبتهم يقينيات داعش إلى راياتها. وصدتهم الحياة البرجوازية الفارغة التي تعيشها أسرهم.

### داعش والخلافة وتطبيق الشريعة والشعوب السنية العربية:

المسلم الذي يلم بحقائق الوحي ويتدبرها. ويلم بوقائع التاريخ ويستوعبها تصده مقولات داعش وتصرفاتها. ولكن كثيراً من المسلمين السنة يتطلعون لإقامة الخلافة ويقدمون تاريخها كما يقدمون أحكاماً فقهية صاغها أئمة الاجتهاد ويتشوقون لتطبيقها.

تسمية أبي بكر الصديق<sup>(٣)</sup> خليفة بمعنى الشخص الذي خلف النبي محمد

(١) شارلس مانسون Charles Manson (نوفمبر ١٩٣٤م): مجرم أمريكي أشتهر في أواخر الستينات بعمليات القتل التي قامت بها عصابته، حوكم بالإعدام ١٩٧١م لجرائمه وخفف لاحقاً للسجن المؤبد.

(٢) شارون تايث (1943 - 1969) (Sharon Tate م): ممثلة أمريكية زوجة المخرج رومان بولانسكي. قتلت عام ١٩٦٩ على يد عصابة المجرم الأمريكي شارلس مانسون.

(٣) أبو بكر الصديق (٥١ ق.هـ/ ٥٧٣م - ٨ جمادى الآخرة ١٣هـ): عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن كعب التيمي القرشي. بويغ بالخلافة يوم وفاة النبي (ص) سنة ١١ للهجرة.

ﷺ تسمية صحيحة. ولكن حكم النبي محمد ﷺ كان حكماً بتوجيه الوحي. أي حكم ثيوقراطي. ولكن أبابكر لم يخلفه في النبوة ولا في الاختيار الإلهي. إن اختياره بشري من قاعدة المؤمنين. والأحكام التي طبقها حتى إذا سندها النصوص هي إجراءات اجتهادية تنسب إليه لا تنسب لرب العالمين. وهذا ينطبق على الخلفاء الراشدين من بعده. الخلفاء بعد ذلك في الدول: الأموية، والعباسية، والعثمانية لم يكونوا باختيار إلهي، ولا بانتخاب الشورى بل بالمغالبة لذلك أطلقوا على أنفسهم تسمية خليفة ليتخذوا منها شرعية غير مبررة.

خلفاء بني أمية وبني العباس انتحلوا لأنفسهم صفات ثيوقراطية تمثلها مقولة أبي جعفر المنصور<sup>(١)</sup>: إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وإرادته وأعطيه بإذنه.

ليس في الإسلام نظام دولة معين، بل توجد مبادئ سياسية كالكرامة، والعدالة، والشورى، والحرية، والمساواة، والسلام. ولا يجوز التسمي بالخلافة لأنها نيابة عن الأمة، هي التي تمنحها وهي التي تنزعها وهي التي تحاسب من تولاها. هذا الفهم واضح في مقولة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، غائب في مقولات خلفاء التغلب.

قال أبو بكر رضي الله عنه: إني وليت عليكم (مبدأ المشاركة)، ولست بخيركم (جواز أن يوجد أفضل منه)، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني (مبدأ المساواة)، الصدق أمانة والكذب خيانة (مبدأ الشفافية)، الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له والقوي منكم ضعيف حتى آخذ الحق منه (مبدأ سيادة القانون).

الخلافة كما مورست تاريخياً في العهود الأموية، والعباسية، والعثمانية، كانت تقوم على الانفراد بالولاية، والاحتكام للعنف على نحو ما قال الشهرستاني<sup>(٢)</sup> في كتابه

(١) أبو جعفر عبد الله المنصور (٧١٢-٧٧٥م): عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم.

(٢) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، صاحب كتاب الملل والنحل.

«الملل والنحل»: ما سل سيف في الإسلام على أمر مثلما سل في الإمامة (الخلافة).

والعدل أهم مبدأ سياسي في الإسلام تتطلبه نصوص الوحي مباشرة بعد التوحيد لله. وكما قال ابن القيم: (إذا ظهرت إمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه).

الجمع بين سلطات الدولة كما في الخلافة التاريخية ينافي استحقاقات العدالة التي توجب الفصل بين السلطات.

التطلع لتطبيق أحكام الشريعة كما استنبطها أئمة الاجتهاد تطلع خالٍ من فقه الأولويات، ومن فقه التدرج، ومن ضرورة الاجتهاد في تطبيق أحكام مر عليها ألف عام حدثت بعدها مستجدات كثيرة من مقاصد الشريعة أن تؤخذ في الحسبان.

تطبيق الأحكام التقليدية كما فعلت طالبان في أفغانستان وكما تفعل (الخلافة) في أراضيها يجافي مقاصد الشريعة. فالأمر يتطلب أن نعرف الواجب اجتهاداً والواقع إحاطة، ثم نزاج بينهما كما قال ابن القيم. هذا ينطبق على الأحكام المدنية، والأحكام الجنائية، وأحكام المرأة، وأحكام الرق وغيرها.

علماء الفقه يعلمون هذا وينادون به ولكن حماسة الجهلاء تهرف بما لا تعرف.

قال ابن عابدين، الفقيه الحنفي<sup>(١)</sup>: «كثير من الأحكام يختلف باختلاف الزمان لتغير أهله أو لحدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه لزم منه المشقة والضرر بالناس. ما يخالف قواعد الشريعة الإسلامية المبنية على التخفيف ورفع الضرر». وقال ابن عقيل<sup>(٢)</sup> الفقيه الحنبلي: «السياسة ما

(١) محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (١٧٨٤-١٨٣٦م): فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره.

(٢) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل (١٠٤٠-١١١٩م): شيخ الحنابلة، وصاحب تصانيف. من كبار الأئمة وكان صوفياً وصاحباً للغزالي.

كان فعلاً يكون الناس معه أقرب للصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يصفه الرسول ولا نزل به وحي».

قال ابن القيم معلقاً على الذين يلزمون أنفسهم بالنصوص والقياس عليها: «هذا موضع مذلة أقدام ومضلة أفهام وهو مقام ضنك ومعترك صعب. فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجرؤوا أهل الفجور على الفساد وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ومحتاجة لغيرها. وسدوا على أنفسهم طرقاً صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له. وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعاً أنه حق مطابق للواقع، ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع. ولعمر الله إنها لم تناف ما جاء به الرسول وإن نفت ما فهموه هم من الشريعة باجتهادهم. والذي أوجب ذلك: نوع من التقصير في معرفة الشريعة وتقصير في معرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر».

إقامة الخلافة، وتطبيق أحكام تقليدية، مفاهيم غير مجدية في تحقيق مقاصد الشريعة الآن. إن قفل باب الاجتهاد الفكري والفقهي، وتغييب العقل البرهاني، وحراسة ذلك بنظم حكم استبدادية سمحت لتلك المفاهيم المحنطة أن تبقى وتدرس في المعاهد ويستمد منها الدواعش وأمثالهم.

إن أوضاع البلدان العربية الإسلامية في المنطقة من الخليج إلى المحيط تتطلع للتغيير، وشعوب هذه المنطقة الأكثر ميلاً للنداءات الثورية حتى إن كانت ثورة للقفز للوراء.

